



موضوعات الحوار

د. جعفر عبد السلام
الأمين العام لرابطة الجامعات
الإسلامية





مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
فإن من دواعي سروري المشاركة في هذا المؤتمر العالمي الأول الذي
يكتسب أهميته من ناحيتين:

الأولى: من حيث زمان انعقاده في فترة عالمية عصيبة تشتبك فيها
الصراعات الدولية، وتتسارع خطى المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي
تعقيداً، ويتفاقم الخطر المحدق بأمتنا الإسلامية في مناطق عديدة، منها:
السودان، والعراق، وأفغانستان، وفلسطين.

وليس من سبيل لمواجهة هذه المواقف المعقدة إلا بالحوار المستنير الذي ينفذ
إلى حقائق المشكلات ويسبر أغوارها، ويضع حلولاً، ويطرح قناعات، وينفي
الشبهات ويدحض الأباطيل..

الثانية: أن هذا المؤتمر الإسلامي العالمي يعقد في مكة المكرمة، وفي مقر
رابطة العالم الإسلامي، التي تمثل برلماناً شعبياً إسلامياً عالمياً يهتم بقضايا
الإسلام والمسلمين، ويتسق مع الجهود العظيمة لهذه الرابطة التي تمثل
بأنشطتها المتميزة حصناً حصيناً ومنازة فكرية عالمية يعتز بها المسلمون
ويحترمونها إلى حد كبير غير المسلمين؛ لحياذها وجهودها المستنيرة الواعية
وحرصها على كرامة الأمة وإعلاء كلمتي الحق والدين.

وأرجو أن تسمحوا لي بأن أحدد نقاط هذه الورقة في أمور أربعة:
أولاً: موقع الحوار في الفكر الإسلامي نظرياً وعملياً.



- ثانياً: التطور العالمي وفرض اللجوء للحوار.
- ثالثاً: الحوار مع الآخر وسائله - ضوابطه - موضوعاته.
- رابعاً: استراتيجية جديدة لثقافة الحوار.
- وذلك على النحو التالي:



أولاً: موقع الحوار في الفكر الإسلامي نظرياً وعملياً.

أيها الإخوة: حين نبدأ لقاءنا أو حديثنا بقولنا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ألا نجد في هذه التحية الإسلامية فتحاً للحوار مع الآخر، فنحن مطالبون باللقاء تحية الإسلام على من نقابله، والآخر مأمور بالتحية بأحسن منها أو ردها.. أليس في ذلك باديء ذي بدء دعوة إسلامية صريحة للحوار، والحض عليه؟

أليس في قول رسولنا الكريم ﷺ ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)) (أخرجه البخاري)، والعبادات كلها حوار بين الإنسان وربه، فسورة الفاتحة -التي لا تجوز الصلاة إلا بها- هي في حقيقتها حوار بين الإنسان وربه، ولذلك نجد الضمير فيها للمخاطب إياك نعبد- إهدنا - أنعمت عليهم.

ولئن كانت هذه الدعوة إلى الحوار في ظاهرها حضاً على الحوار بين المسلمين خاصة، ولكنها في ذاتها تعتبر مدخلاً للحوار الواجب بين سائر البشر؛ لأننا نجد في الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣).. تعظيماً لأهمية التواصل والتعارف والتقارب، وهذا كله لا يتأتى إلا من خلال حوار متبادل، وتعارف يتحقق عن هذا الحوار.

والرسالات السماوية جميعها انتشرت بعد التحوار مع المشركين وإقناعهم بالتي هي أحسن، ولعلنا نذكر في هذا المقام دعوة القرآن الكريم ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)..

ويحكي القرآن الكريم أمر الله لنبيه موسى وأخيه هارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا



لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿طه: ٤٤﴾ إنا في ضوء هذه التوجيهات القرآنية نؤكد على أن الحوار واجب والتزام إسلامي تجاه الآخر؛ مسلماً كان أم غير مسلم.

واسمعوا معي قول الحق سبحانه وتعالى في معرض الحوار مع الآخر ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤)، فوضع (أو) هنا في مجال التخيير، ولم يقطع بالهدى للمتحدث ولم يصف الآخر بالضلال المبين، وإنما جعل الصفتين متأرجحتين بين المتحدث والمخاطب، ثم قال بعدها في نفس السورة: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سبأ: ٢٥).

ألا ترون أيها الإخوة الدرجة العالية لهذا المستوى من الحوار مع الآخر، نسب للمحاور (الإجرام) عما أجرمنا أي ما فعلنا من (جرم)، ونسب للمخاطب العمل مجرد العمل .. حتى اختيار اللفظ

هذه الحقيقة الإيمانية التي جاء بها الإسلام منذ أكثر من ألف وأربعمئة وتسعة وعشرين عاماً، ومارسها المسلمون على مدى العصور كنهج إسلامي صريح، اتخذت صوراً عديدة وأشكالاً متباينة، منها الشورى وهو حوار بين المسلمين، ومنها تأليف القلوب على الهداية الإيمانية، فالرسول ﷺ كان يلتقي في ساحته، ويعمل معه صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي، وغيرهم كثيرون، وأثمر الحوار معهم عن نتائج طيبة لهم وللأمة وللدعوة الإسلامية أيضاً، وكانوا بحق بناة العمل الإسلامي العظيم.

ثم اتسعت رقعة الحوار وامتدت لتصل إلى أصقاع وشعوب خارج الجزيرة العربية.. بدأ الرسول الكريم ﷺ الحوار مع الملوك والقيصرة يدعوهم إلى الإسلام، بعد أن حاور المشركين في مكة حواراً متصلاً تحمّل في سبيله كل



صنوف الأذى والألم.. لكنه كان مصراً ودعواً وملتزماً بالحوار؛ امتثالاً للخطوط الإيمانية العريضة التي أرسى القرآن الكريم دعائمها، وفيما عرضته آيات كريمة من نماذج الرسل والأمم التي بُعثوا إليها.. كل هذه الصور المتعددة من الحوار أرسى أهمية الحوار وضرورته كركيزة إنسانية في التعامل بين بني البشر دون النظر إلى اختلافهم في اللون أو العقيدة أو اللغة.. ولم لا والقرآن الكريم بنصوصه القاطعة يعتبر الاختلاف سنة كونية.. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨).. وغير ذلك من الآيات التي يعي المسلمون دلالتها الواضحة على أهمية الاختلاف بين البشر، وضرورة التواصل والتعايش وصولاً إلى التعارف والتآلف، وما يستتبعه ذلك من تعاون وتفاعل وتفاهم يحقق الخير؛ كل الخير لبني الإنسان، ويجعل من الحياة ساحة للبناء والتعمير والتقدم، سواء اختلفت العقيدة أم تباينت الألسن، فالكل بنو البشر سواء بسواء.

ثانياً: التطور العالمي فرض اللجوء للحوار:

إن العالم المعاصر بعد تجاربه المتعددة من الصراعات الساخنة والحروب بأنواعها الملتهبة والباردة قد أدرك أنه لا مناص من الحوار، ولا مفر من التفاهم، ولا مندوحة عن التقارب، فكان ميثاق الأمم المتحدة وقبلها عصبة الأمم - خطوات متتابعة للتأكيد على ضرورة الحوار ووضع ضوابطه وتفعيل مقاصده، وأصبحت الحروب ذاتها وسيلة للتفاوض وخلق حوار بين طرفين.

- وتوالى محاولات المجتمع الدولي بمنظوماته المتعددة ترسخ مفهوم الحوار على المستويات التي تحقق الخير والنهوض والتقدم، وظهر مصطلح



الأسرة الدولية والمجتمع الدولي تأكيداً على قيمة الحوار وجدواه وأهميته في ترسيخ قيم الحق والعدل والخير للبشرية جمعاء.

وأستأذنكم في أن أسرد عليكم بعضاً من خطى الأمم المتحدة في مجال تعميق الحوار ودعمه وتأكيد كآسلوب حضاري للتعامل بين الدول والشعوب.

- تم إعلان سنة الأمم المتحدة للتسامح خلال قراراتين للجمعية العمومية وهي سنة ١٩٩٥ م، استناداً إلى أن ميثاق الأمم المتحدة يؤكد على أن سنة التسامح هي أحد المبادئ التي يجب تطبيقها لبلوغ الغايات التي تنشدها الأمم المتحدة في سبيل منع نشوب الحرب ودعم السلام وحفظه.

- ومن الجهود الدولية في سبيل تفعيل مفهوم الحوار عن طريق التسامح تقدم مدير عام اليونسكو عام ١٩٩٤ م بتقديم إعلان المبادئ الخاص بالتسامح، مطالباً المجتمع الدولي بوضع نهاية لثقافة الحرب وبداية ثقافة السلام، وأدان التعصب العرقي والثقافي والديني.

- وفي عام ١٩٩٩ م (٢٣ إبريل) تم إعلان برلين، ومبادرة الحوار الثقافي بين المجتمعات الإسلامية والغربية، ومن أهم بنوده: اقتناع الأطراف المشتركة أن الاتصال بين الثقافات والحضارات المختلفة قد أصبح واحداً من المعالم الرئيسة للمجتمعات المعاصرة في العالم، وهو يمثل النسيج الداخلي للعلاقات بين الأمم.. ومن بين بنود هذا الإعلان: التركيز على القيم المشتركة بين الثقافتين الإسلامية والغربية، واعتبر البيان أن التعليم هو أحد المجالات المهمة التي يمكن بواسطتها بث قيم الحوار الثقافي، ونشر المبادئ التي تساعد



على قيام الحوار بين الحضارات.. فالتعليم وسيلة للتعرف على آخرين والتفاعل معهم.

ثم يأتي الإعلام بعد التعليم في الأهمية لتعميق هذا الحوار، ومن ثم نص إعلان برلين على تأسيس مركز بحوث لدراسات الإعلام المنظمة ذات الطابع الدولي المتعدد الجنسيات، والاهتمام بالتدريب الصحفي المهني، وأن يتم تأسيس أحد هذه المراكز في أوروبا والآخر في العالم الإسلامي، وتشجيع البرامج التليفزيونية والإذاعية التي تعمل على التقريب بين العالمين: الإسلامي والغربي بطريقة خلاقة وتقدم العالم الإسلامي للغرب، وتقدم الغرب إلى العالم الإسلامي بشكل محايد غير منحاز.

ولا خلاف على أن الإعلام هو المسؤول الأول عن تكوين الصورة الذهنية ومفهوم الآخر، وهو القادر على تقديم الصورة الحقيقية للآخر، أو تقديم صورة مشوهة عنه.. ولا نشك في أن الإعلام الغربي كان له دور واضح في تشويه العلاقات الإسلامية الغربية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، حيث انحاز الإعلام الغربي ضد القضايا العربية والإسلامية، وعمل على تقديم صورة للمسلم تربطه بالإرهاب، وتصفه بالتشدد الديني والتزمّت.

- وفي عام ٢٠٠٠م صدرت الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات الصادرة عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة.

وقد استندت هذه الوثيقة العالمية للحوار على أن ميثاق الأمم المتحدة يقوم على أساس الحوار والتفاهم بين الشعوب التي تركز على وحدة الأصل الإنساني، وهي حقيقة أكدتها القيم الروحية في مختلف الأديان والحضارات،



وتمثل القاعدة لإقامة الحوار والتفاهم والتعارف بين الأمم والحضارات. ويهمني في هذه الوثيقة العالمية للحوار: أنها تحدد أهداف الحوار في تعزيز التواصل والعدالة والتسامح بين البشر، والبحث عن أرضية مشتركة بين الحضارات لمواجهة التحديات المشتركة التي تهدد القيم والإنجازات البشرية.

ثالثاً: الحوار مع الآخر: ضوابطه - موضوعاته:

أود أن أضع بعض الضوابط التي تحكم الحوار الواجب على المستوى الأممي، والذي يجب أن ينهض به عالمنا الإسلامي، وإليكم بعض هذه الضوابط.

أولاً: إن منطقة العقائد الدينية على اختلافها تمثل منطقة محظورة لا يمكن الخوض فيها أو الحوار حولها، وذلك احتراماً للاختلاف العقائدي والحرية أطراف الحوار في التمسك بالعقيدة التي يختارونها إعمالاً للمنطق الإسلامي ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ثانياً: إن الحوار العالمي المطلوب ينبغي أن ينصرف إلى القضايا والمشكلات الإنسانية العامة التي يعاني منها المجتمع البشري وتغرق نهضته وتقدمه، وعلى سبيل المثال:

أ- مشكلات البيئة ومنها على سبيل المثال: التصحر، التلوث، الاحتباس الحراري، مكافحة الأوبئة وغيرها.

ب- مجالات حقوق الإنسان، وحقه في حياة كريمة حرة تكفل له كافة حقوقه السياسية والاجتماعية دون تمييز بسبب اللون أو الدين أو العرق.

ج- دعم كيان الأسرة باعتبارها نواة المجتمع، ولا شك أن الرؤية



الإسلامية للأسرة تكفل توازناً بين الحقوق والواجبات، وتدعم علاقة الأسرة بالمجتمع من منظور إسلامي وضعه الخالق لإسعاد الفرد والمجتمع ويمكن أن يقدم العالم الإسلامي، بل إنني أطالب العالم الإسلامي بوضع نظرية إسلامية متكاملة يهديها للعالم كله؛ لأن النظام الإسلامي للأسرة لا يدانيه نظام بشري في سموه ورفعته؛ لأنه نظام إلهي من لدن حكيم خبير.

د- تحسين العلاقات مع الآخر، عن طريق نبذ الصراعات السياسية والعرقية، وعن طريق إشاعة التفاهم القائم على الحق والعدل في الخلافات وإيجاد الحلول السلمية التي يضمنها القانون الدولي العام والقانون الإنساني.

الحوار حول أسس القيم الإنسانية المشتركة التي تمثل قاعدة مشتركة للحوار والتي لا خلاف عليها، وهي القيم التي لا تتنافر مع النهج الإسلامي القيمي، الذي يستهدف العدل والأمن والسلام البشري لكل البشر، والبعد عن التيارات الفاسدة التي تنشر القبايح وتشيع الرذائل وتهدر القيم الإنسانية الرشيدة، مما يصيب البشرية بالكوارث والنوازل المدمرة.

تحديد مجالات الحوار في نواحي المعرفة بالثقافات والحضارات المختلفة وإنجازاتها الثقافية والتربوية والعلمية، ودراسة الأوضاع البيئية والتحديات المهددة للسلم والأمن في العالم وكذا مجال حقوق الإنسان الأساسية.

ونتحدث عن هذه المجالات بشيء من التفصيل:

هناك مجالات عديدة ينبغي أن تتجه جهود الحوار على المستوى العالمي



وبواسطة المؤسسات الدولية والمنظمات القائمة إلى معالجتها والتنسيق فيما يمكن عمله لإجراء حوار عالمي حول هذه الموضوعات الإنسانية المشتركة والتي يمكن أن نختار منها الموضوعات التالية:

الحوار حول سلامة البيئة من الأخطار:

على أن يتم الحوار في ضوء حقائق الإسلام التي يجب أن تكون مرتكزاً وفق الحقائق التالية التالية:

حرصت الشريعة الإسلامية على أن يحيا الإنسان في بيئة صحية مناسبة، ووضعت العديد من القواعد والمبادئ التي تكفل سلامة البيئة وحمايتها من العبث .

ولا شك أن ذلك يقتضي من الإنسان الرشيد أن يحافظ على ما أعطاه الله حتى يعيش سليماً معافى، قادراً على العمل وعلى الإنتاج، ومتمتعاً بما أعطاه الله له، ولن يتحقق له ذلك إلا بالحفاظ على البيئة التي يعيش فيها، وبوقاية نفسه من أية أضرار تحدث فيها، وكذا بالمسارعة بالعلاج كلما اقتضى الأمر ذلك . يقول الحق - سبحانه وتعالى - : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين : ٤)، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء : ٧٠)

وقد أشار القرآن الكريم إلى التوازن البيئي، وإلى خلق الكون بشكل هندسي رائع وسليم، قال تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٣) ثم أرجع البصرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ (الملك) .

ولأن البيئة هي المهد والفراش والموطن والسكن والحياة للإنسان، فقد



سخرها الله له وزودها بكل مقومات الحياة الآمنة الصحية السليمة، وترى أكثر من آية تشير إلى هذا التوازن الدقيق وإلى ما زود الله به الأرض من معاش لحياة الإنسان، وإلى ما أرشده لحمايتها والإبقاء على توازنها . وسنورد بعضاً من هذه الآيات : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) ﴿ (البقرة) .

وقوله سبحانه : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)﴾ (الحجر) .

وقوله سبحانه : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٤)﴾ (طه) .

وكل الآيات تؤكد ما خلقت عليه الأرض من توازن دقيق يجعلها صالحة تماماً لحياة الإنسان، كما يحميها هي نفسها، ولصالح الإنسان والكائنات التي تعيش فيها، من فقدان اتزانها، فقد أرسى الله فيها الجبال أوتاداً ثواب تحفظ لها توازنها وتحمي مناخها الطبيعي ليستمر صالحاً للحياة بما أنشأ الله سبحانه وتعالى فيها من نبات وغابات وحدائق تضخ الأوكسجين اللازم للتنفس، وتمتص ثاني أكسيد الكربون المدمر للحياة .

وقد نبهنا القرآن الكريم كذلك إلى أن الفساد سيعم الأرض بما كسبت أيدي الناس ، يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الروم ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ



بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ (الروم : ٤١) ولعل ذكر هذه الآية في سورة الروم له دلالة في أن الغرب هو الذي سيحدث هذا الفساد، لذا طلب القرآن الكريم من البشر أن يمتنعوا عن إحداث الفساد حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف : ٥٦).

ولا شك أن إبراز الرؤية الإسلامية على هذا النحو تحقق نجاحاً للحوار مع الأطراف الأخرى، حيث إنها تنصب على قيم إنسانية ليس ثمة مجال للاختلاف حولها مع الطرف الآخر، إضافة إلى ذلك فإن بعض هذه الحقائق في موضوع البيئة بالذات قد تكون خافية على الكثيرين من أهل الغرب، إما لتقصيرنا في العالم الإسلامي عن التعريف بالإسلام، أو بجهل متعمد أو غير متعمد من الطرف الآخر..

الحوار في مجال المرأة والأسرة

تشغل قضية المرأة مساحة واسعة في الفكر الغربي وفي مجالات الاتهامات التي توجه للعالم بهذا الخصوص، ولا شك أن ذلك يؤكد لنا على أهمية الحوار في هذه القضية بالذات، لأنها من القضايا التي تثير غبار كثيفاً حول الإسلام، وشبهات ظالمة عن غير قصد أو بسوء نية أو بهما معاً، ولعل العالم الإسلامي يكون مسؤولاً بدرجة ما لتقصيره في تجلية الحقائق المتعلقة بالمرأة، وتقصيره في تفنيد الشبهات، وهنا تكمن أهمية قصوى للحوار حول قضية المرأة في ضوء الحقائق الإسلامية التالية:

١- إن ما قرره الإسلام من شخصية للمرأة يعد رداً طبيعياً على كافة



الدعاوى والاتهامات الباطلة التي توجه إلى الإسلام والتي تدعي أنه أهمل المرأة وانتقص من دورها، واعتبرها كالمحتاج لا وزن لها ولا قيمة .

٢- إن من أهداف الإسلام بناء مجتمع يكون فيه لكل من الرجل والمرأة دور متكامل في عملية البناء والتنمية، وقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها كاملة على أساس ينسجم مع شخصيتها، وقدراتها وكفاياتها، وتطلعاتها ودورها الرئيس في الحياة، وقد تضافرت نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية على وحدة الأمة الإسلامية بعناصرها الحيوية، فلكل من المرأة والرجل شخصيته، ومكانته في المجتمع الإسلامي.

٣- الأسر المبنية على الزواج الشرعي حجر الزاوية في البناء الاجتماعي السليم، ولذا فالإسلام يرفض أية صورة مزعومة أخرى للأسرة، وأية علاقة بديلة خارج هذا الإطار الشرعي. وللمرأة بمقتضى أمومتها وخصائصها الأخرى الدور الأساسي في استقرار ورفاه هذا البناء العائلي.

٤- إن الأمومة هي إحدى وظائف المرأة الطبيعية في حياتها، ولن تستطيع أداء هذه الرسالة النبيلة على أحسن وجه وتكوين وتوجيه ورعاية الأجيال القادمة إلا إذا حصلت على جميع حقوقها الإسلامية لتقوم بمهمتها في مجالات الحياة الخاصة بها.

٥- المرأة والرجل متساويان في الكرامة الإنسانية، كما أن للمرأة من الحقوق وعليها من الواجبات ما يلائم فطرتها وتكوينها، وبينما يتمتع كل من الرجل والمرأة بصفات طبيعية متفاوتة، فهما متكاملان في المسؤوليات المنوطة بكل منهما في الشريعة الإسلامية.

٦- الدعوة إلى احترام المرأة في جميع المجالات، ورفض العنف الذي



ما زالت تعاني منه في بعض البيئات وعلى الأخص العنف المنزلي، والاستغلال الجنسي، والتصوير الإباحي، والدعارة، والاتجار بالمرأة، والمضايقات الجنسية؛ مما هو ملاحظ في كثير من المجتمعات التي تتمهن المرأة، وكرامتها، وتتنكر لحقوقها الشرعية، وهي أمور منكرة دخيلة لا علاقة للإسلام بها.

٧- قيام الوسائل الإعلامية بتعزيز الدور الإيجابي للمرأة، ورفض جميع أشكال استغلال المرأة في وسائل الإعلام والإعلان، والدعاية المسيئة للقيم والفضائل مما يشكل تحقيراً لشخصيتها وامتهاناً لكرامتها.

٨- ينبغي بذل جميع الجهود لتخفيف آلام النساء والمجموعات الضعيفة وبصفة خاصة النساء المسلمات اللائي مازلن ضحايا النزاعات المسلحة والاحتلال الأجنبي والفقر وضحايا الضغوط الاقتصادية الأجنبية.

٩- إن التنمية الشاملة المتواصلة لا يمكن تحقيقها إلا على أساس من القيم الدينية والأخلاقية، وهذا يقتضي رفض محاولات فرض مفاهيم ثقافية واجتماعية دخيلة وإدانة الهجمات المتواصلة من بعض الجهات ضد المفاهيم والأحكام الإسلامية المتعلقة بالمرأة.

١٠- الإنكار الشديد لأساليب بعض الحكومات في منع المرأة المسلمة من الالتزام بدينها وإقامة شعائره وما افترضه الله عليها كالحشمة والحجاب.

١١- العمل على جعل مؤسسات التعليم النسوي بجميع مراحلها منفصلاً عن تعليم الذكور؛ وفاء بحقوق المرأة المشروعة وقياماً بمقتضيات الشريعة.

ولعلني لا أكون مبالغاً إذا قلت إن تجلية هذه الحقائق الإسلامية عن الأسرة والمرأة المسلمة يمكن استثمارها في وضع نظرية إسلامية عالمية عن الأسرة والمرأة في ضوء الظروف العالمية الراهنة التي يعاني فيها المجتمع الغربي من فقدان الرؤية الصحيحة حيال هذه القضايا.



الحوار في مجالات القيم الإنسانية المشتركة

إن نظرة الإسلام المتسامية للإنسان - أي إنسان - مهما كان لونه أو لغته أو دينه أو عرقه هي نظرة سابقة على المفاهيم والنظريات الحديثة التي تتعلق بحقوق الإنسان والتي تنظمها المواثيق الدولية وغيرها، ولذلك فإن الحوار مع الآخر في مجال القيم الإنسانية المشتركة ينبغي أن ينصرف إلى المجالات القيمية الإنسانية التالية :

أولاً: احترام الكرامة الإنسانية

وهو مبدأ رئيس يجب الاهتمام به لكي يمكن التعامل مع البشر، ويستند هذا المبدأ في نظرة إلى أن البشر ينحدرون من إنسان واحد؛ هو آدم - عليه السلام -؛ لذا يجب أن يحترم بعضهم بعضاً؛ ومن ثم فهم يشتركون في أساس الخلق، وهذا الاشتراك ينبغي أن يترك أثره على تعاملاتهم مع بعضهم البعض في السلم والحرب على السواء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠). فالتكريم للإنسان بصفته إنساناً؛ لذا عندما تنشب حروب بين هؤلاء الذين ينتمون لأصل واحد، فيجب احترام هذا الأصل، فالأصل هو السلم والتعامل الحسن مع بني آدم، والحرب والعداء أمر طارئ يجب أن ينتهي بعد وقت قصير.

وفي وقت السلم تحكمنا الآية الكريمة: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨).



وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)، والبر هو لون من الفضل والإحسان أعلى من العدل.

ثانياً: التعاون على ما يحقق مصالح الإنسانية

إن الحوار حول التعاون على ما يحقق المصالح الإنسانية هو مبدأ مهم في العلاقات الدولية التي أكد عليها الإسلام، ولذا يجب أن يقرره المسلمون أو على الأقل أن يقبلوه إذا دعوا إليه، لأن الله قد جعل التعاون نعمة على البشرية، وأشار إلى الأمن الغذائي والأمن القومي الذي حققته رحلتي الشتاء والصيف، حيث يقول تعالى: ﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٌ، إِيْلَافَهُمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ١-٤).

ونحن في زمن أصبح تنمية المصالح المشتركة بين كل دول العالم وشعوبه أهم بكثير من الحروب والمناوشات. وأعتقد أن الخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢) يشمل التعاون بين المسلمين ومع غيرهم كذلك.

على أنه من البديهي أن ثمة مستجدات عالمية تطرأ من آن لآخر على الساحة العالمية تفرضها التطورات والمستحدثات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية مما يفتح آفاقاً متجددة للحوار؛ إذ إن المجتمع البشري لا يقف جامداً، وإنما سنة الحياة هي التجدد والتطور والتقدم والارتقاء، وفي ضوء ذلك كله فإن مجالات الحوار التي ألمحنا الإشارة إليها سابقاً ما هي إلا نماذج رأيت التركيز عليها لأهميتها القصوى في عالمنا المعاصر والتي تمثل من



وجهة نظري تحديات راهنة لا للعالم الإسلامي وحده ولكن للأسرة البشرية لاسيما وأن الكون أضحى قرية كونية صغيرة..
وثمة ضوابط يجب الالتزام بها لتحقيق فاعلية أكبر للحوار، وذلك إذا بني الحوار على الأسس التالية:

- نبذ الاستعلاء الحضاري، والاعتراف المتبادل بين الديانات والحضارات.
- حق الشعوب في الحفاظ على خصوصيتها الحضارية مع تعايشها مع الحضارات الأخرى، فالجانب المادي ملك للبشرية وينتقل من حضارة إلى حضارة، أما الجانب المعنوي فيمثل الهوية الخاصة لكل حضارة، ويظهر في لغتها وثقافتها الدينية والاجتماعية.
- استنكار العنف والإرهاب، والإسلام لا علاقة له بالإرهاب، ويؤيد حق الدفاع المشروع ضد العدوان، ويرفض التعصب الديني والعنصري.
- أهمية الحفاظ على التراث الثقافي والإسلامي والمحبة الإسلامية، واحترام حقوق الأقليات، وإبراز القيم السامية بين كل الديانات.
- المناهج الدراسية وتأكيدا على تواصل الحضارات والثقافات المختلفة، وأهمية التعايش معها.
- الاهتمام بإعداد دعاة مسلمين قادرين على إنعاش الحياة الثقافية في العالم الإسلامي.
- الاهتمام بوسائل الإعلام الحديثة وتوظيفها لخدمة الدعوة الإسلامية.

وسائل الحوار وآلياته:

أما الوسائل والآليات الواجب اتباعها كما حددتها الوثيقة العالمية، فهي



دعوة الدول والمنظمات الدولية وغيرها إلى اتخاذ الحوار كأداة لإرساء الثقة في مختلف المجالات على المستويات الإقليمية والدولية بهدف تحقيق التواصل والتسامح والأمن المتبادل والتنمية، ومنع اللجوء إلى القوة في إطار نظام دولي عادل.

وطالبت الوثيقة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بتطبيق بنود الوثيقة في المجالات السياسية والثقافية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والتكنولوجية بالوسائل التالية:

- ١ - تقوية التفاعل والتعاون بين المثقفين والمفكرين المنتمين إلى حضارات متعددة بشكل متوازن وبعيدا عن نزعات التفوق والسيطرة وإقصاء الآخر أو استبعاده.
- ٢ - تنظيم المؤتمرات والندوات وورش العمل لتعزيز التعارف والسماحة، ونشر ثقافة الحوار بين الحضارات، ومن خلال الاحترام المتبادل والمعاملة الحسنة.
- ٣ - تشجيع الترجمة والنشر بلغات الحضارات المختلفة، وتوثيق تراثها وفنونها وصيانة آثارها ومخطوطاتها.
- ٤ - إنتاج مواد وثائقية مختلفة تشمل مختلف الكتب والمقالات والأفلام التي تعطي أمثلة ونماذج تاريخية للتفاعل البناء بين الحضارات.
- ٥ - إدراج برامج التعريف بالثقافات والحضارات في المناهج التعليمية وتعليم اللغات والتاريخ والفكر الاجتماعي والسياسي لمختلف الحضارات، وتعزيز الدراسات الحضارية والثقافية البيئية والمقارنة، وتشجيع تبادل المعارف والمعلومات والمنح الدراسية بين الأكاديميين.



- ٦- السعي إلى فهم الحضارات ودراسة وسائل تطوير التفاعل والتفاهم بينها.
- ٧- تصحيح صورة الحضارات الأخرى في المناهج التعليمية والاعتراف بحق الاختلاف وحرية الاختيار.
- ٨- تعزيز التبادل العلمي والتكنولوجي وتضييق الفجوة العلمية والتكنولوجية مع مراعاة الجوانب الأخلاقية للعمل في هذه المجالات.
- ٩- التعاون في مواجهة الآثار والجوانب السلبية للعولمة.
- ١٠- توظيف تكنولوجيا الإعلام ووسائله المختلفة والإنترنت لدعم رسالة حوار الحضارات وتعزيز التفاهم بين الشعوب.
- ١١- توفير فرص متكافئة في تدفقات إعلامية تعزز التفاعل الإيجابي والتعاون بين الحضارات.
- ١٢- تنفيذ برامج تهدف إلى إذكاء روح الحوار والتفاهم ونبذ العنف والعنصرية بين الشباب.
- ١٣- تطوير آليات مناسبة على المستويات المحلية والوطنية والإقليمية لإشاعة الحوار في كافة المجالات لنشر التفاهم المتبادل بين الحضارات.
- ١٤- تشكيل لجنة خاصة بالجمعية العامة للأمم المتحدة؛ لتشجيع حوار الحضارات وتيسيره وإشاعة ثقافة الحوار في أنشطة الأمم المتحدة في المجالات المختلفة^(١).

إن علماء كثيرين في شتى بقاع عالمنا المعاصر يشاركوننا هذه الرؤية الإسلامية للحوار، ولا أنسى جهود بعض قادة وعلماء الغرب في مجال

(١) راجع ذلك مفصلاً في كتاب "الإسلام والحوار مع الحضارات المعاصرة" للدكتور محمد خليفة حسن، نشر رابطة الجامعات الإسلامية ص ١٣٨ وما بعدها.



حوار الحضارات.

١ - كوفي أنان: حوار الحضارات والحاجة إلى منظومة أخلاقية عالمية

عبر كوفي أنان الأمين العام للأمم المتحدة عن رؤيته الشخصية لحوار الحضارات في محاضرة ألقيت في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في يونيو ١٩٩٩ م، ومن أهم الآراء التي عبر عنها أنان عن الإسلام والعلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية وحوار الحضارات واسمعوا ما يقوله كوفي أنان عن الإسلام :

(أ) إن الدين الإسلامي واحد من أعظم أديان العالم، ونبراس هاد لأكثر من حضارة عظيمة.

(ب) الصراع بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية تخلله اتصال والتقاء من خلال نقل علوم إحدى الحضارتين إلى الأخرى.

(ج) غزو الحضارة الغربية للحضارات الأخرى في العصر الحديث، أدى إلى تحول حوار الحضارات إلى حوار من طرف واحد.

(د) كل العقلاء يرفضون حتمية الصدام بين الحضارات ويودون تجنب وقوع هذا الصدام.

(هـ) يوافق أنان على مقولة هنتنغتون بخصوص انتقال العالم من صراع الأيديولوجيات إلى صراع الهويات.

(و) معظم الزعماء المسلمين الذين قابلهم يؤيدون حوار الحضارات ويتحمسون له.



(ز) الدعوة إلى حوار سلمي يقوم على أساس مجموعة من القيم المشتركة.

(ح) محاولة فرض الهيمنة الأمريكية على النظام العالمي الجديد وتأجيج الصراع سيؤدي إلى اندحار أمريكا شأنها شأن القوى العظمى السابقة.

(ط) الجاليات الإسلامية في الغرب قادرة على إقامة حوار حضارات باعتبارها جزءاً أساسياً من المجتمع الغربي.

(ي) التأكيد على مساهمة الحضارات الإسلامية في البناء الحضاري للإنسان.

أما الرئيس الألماني السابق رومان هرتسوج ومعارضته نظرية صدام الحضارات:

فهو في نظري من بين الأصوات الأوروبية المعارضة لنظرية صدام الحضارات: والذي عبر عن معارضته للنظرية بشكل عملي، حيث طالب ببداية الحوار الثقافي بين الإسلام والغرب، وتبني مبادرة لإقامة هذا الحوار، وتمكن من إقناع عدد من ملوك ورؤساء الدول من بينها النرويج وأسبانيا وفنلندا وإيطاليا والمغرب والأردن، وتحمست مصر لهذه المبادرة، وتبنتها، ودعت إلى العمل من أجل تنفيذها.

وهدف مبادرة الرئيس هرتسوج تعميق التفاهم الثقافي بين العالم الإسلامي والغرب وتحقيق الالتقاء والتعاون بينهما بما يدحض نظرية هنتنغتون، ويمثل رداً عملياً عليها. وبالنسبة لآليات تحقيق ذلك:



الآلية الأولى: ستعطي للحوار الثقافي بين الإسلام والغرب قاعدة قوية للانطلاق بها إلى مجالاتها المختلفة، وتعطيها أيضاً قدرة تنفيذية بعد بلورة المفهوم ومناقشته والدخول في مرحلته التنفيذية.

أما الآلية الثانية : فهي العمل من أجل تحقيق هذه المبادرة فتتم على مستوى المعاهد ومراكز الفكر والبحوث في الدول المعنية بالمبادرة، وقد تم اختيار معهداً لهذا الغرض يقوم بعمليات التنسيق المطلوبة وهو معهد الدراسات الشرقية في مدينة هامبورج بألمانيا، أما في مصر فقد تم اختيار معهد الدراسات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية بمصر لاستخدام هذه الآلية.

أما المراحل التنفيذية التي تمت من أجل تحقيق هذه الآليات، فتتمثل في انعقاد مؤتمر دولي للحوار في برلين في ٢٣-٢٤ إبريل عام ١٩٩٩ . وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون للمعاهد والمراكز في الدول المتبينة للمبادرة مع عدد من المفكرين.

وتمت دعوة عدد من المفكرين من دول مثل إيطاليا وفرنسا، وقد ألقى الرئيس هرتسوج كلمة الافتتاح، وأكد في كلمته على نجاح المبادرة وضرورة التصدي للرد على نظرية هتنتجتون، ورفض مفهوم صراع الحضارات.

وفيما يتعلق بعلاقة الغرب بالإسلام يؤكد هرتسوج على خطأ شائع في الغرب، وهو أن كلمة "الإسلام" ارتبطت في أذهان الكثيرين في الغرب بالتعصب الديني، والجمود والتخلف والأصولية المتشددة، وقمع المرأة والعقوبات الشديدة مثل الإعدام وغير ذلك من السلبات.

ويقول: إن هذا الربط يعبر عن قصر نظر يجب علينا إصلاحه، ولنتذكر مرة واحدة أن تاريخ العالم شهد تنويراً إسلامياً منذ ستمائة أو سبعمائة عام،



وهي النهضة التي حافظت للغرب على قسم كبير من أصول المعرفة اليونانية الأصلية^(١).

أما موقف مستشار ألمانيا السابق هيلموت شميت من حوار الحضارات: عبر السيد هيلموت شميت مستشار ألمانيا السابق عن موقف بلاده من حوار الحضارات من خلال كلمته التي ألقاها في مؤتمر "الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري" الذي انعقد بالقاهرة عام ١٩٩٦م.

وعبر المستشار عن اهتمامه بالحوار بين الحضارات على النحو التالي: "إن اهتمامي الشخصي بالإسلام ومساندة الحوار بينه وبين الديانات والحضارات الأخرى قد استهواني طوال العقدين الماضيين بواسطة الرئيس أنور السادات؛ لأنه كان مسلماً عميق الإسلام والإيمان، وفي الوقت نفسه كان هو الشخص والإنسان الوحيد الذي خطط وقاد عملية السلام في الشرق الأوسط..^(٢).

وقد أعلن المستشار الألماني عن رفضه الشديد لنظرية صدام الحضارات والديانات بقوله: "منذ ثلاث سنوات نشر الأمريكي الأكاديمي صموئيل هنتنغتون بحثاً حول عدم إمكانية تجنب أو تفادي صدام الحضارات والديانات، وإنني أعتقد أن هنتنغتون غير صائب تماماً، بل مخطئ كلياً، ومع

(١) الإسلام والغرب وإمكانية الحوار، ترجمه من الألمانية صلاح محجوب، مراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة: المشروع القومي للترجمة، العدد ٢٤٠، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٧.

(٢) كلمة السيد هيلموت شميت في المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤م، في كتاب الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٥، ص ٨٣.



هذا فإن بحثه يمكن الاستفادة به في حالة إدراكنا لمدى الخطر الذي يحقق بمستقبل البشرية " .

وأشار المستشار هيلموت في كلمته إلى العديد من الجهود الألمانية نحو تحقيق الحوار بين الأديان والحضارات، واستشهد شमित بأقوال من بيان مجلس التفاعل الذي انعقد في مايو ١٩٩٦م تحت عنوان " الحاجة إلى مقاييس أخلاقية علمية "، من بينها: إن ديانات العالم تكون أهم نوااميس الحكمة والعقل للبشرية، وإن مصادر المعايير والنماذج الأخلاقية موجودة في الديانات العالمية.

إن المفهوم العالمي للأخلاق يعطي الحد الأدنى الضروري من القيم والمعايير الإنسانية وكذلك الحد الأدنى الأساسي من التوافق المتعلق بالقيم والمواقف الأخلاقية التي تؤكد لها كل الأديان، وأوصي بمبدأين هما: ضرورة المعاملة الإنسانية لكل إنسان ومعاملة الآخرين كما نحب أن يعاملنا الآخرين.

ويجب أن نتعهد بعدم استخدام العنف وضرورة احترام الحياة، والالتزام بالتضامن والتكافل في النواحي الاقتصادية، وخلق الوعي بالتسامح وخلق الوعي بالمساواة في الحقوق بين الرجل والمرأة، وطالب المستشار في كلمته بضرورة أن يشتمل التعليم على قيم التسامح الإيجابي لمواجهة العنف الديني مهما كان مصدره.

إن سلام البشرية يحتاج إلى كثير من التسامح المتبادل بين ديانات الشعوب المختلفة والنابع من الاحترام المتبادل، ويجب على الجامعات أن تعلم الاحترام والتسامح تجاه كل الأديان، وتراعي التضامن الديني والثقافي المتبادل.



أما الأمير تشارلز وعضوية العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية:

يعتبر الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا من الشخصيات الأوروبية الرسمية المثقفة في مجال الإسلام والحضارة الإسلامية، وقد شارك في عدد من المناسبات الثقافية والدينية ذات الصلة بالشأن الإسلامي، وقد عبر في كل هذه المناسبات عن وجهة نظر غربية إيجابية تجاه الإسلام، وأبدى إعجابه الشديد بالحضارة الإسلامية ومنجزاتها، وبخاصة في مجال الفنون، واعترف بإسهامات الحضارة الإسلامية في الحضارة الإنسانية، وتعتبر آراء الأمير تشارلز من أقوى وأجراً الآراء الإيجابية عن علاقة الحضارتين الغربية والإسلامية.

ومن أهم آرائه التي عبر عنها في إحدى محاضراته بمركز الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد: التأكيد على الصفات الحضارية للدين الإسلامي، ورفض الربط بين الإرهاب والإسلام، والاعتراف بأن الدين الإسلامي دين معتدل، والإشارة إلى عالمية ظاهرة الإرهاب وعدم ارتباطها بالمسلمين من بين كل أهل الأديان.

ولعل من أهم آراء تشارلز ربطه للتراث الإسلامي بالتراث الغربي، واعتبار الإسلام جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الغرب وله تأثير كبير على حضارات الغرب، وأكد على تفاعل الحضارة الإسلامية في تكوين النهضة الأوروبية وفي تشكيل أوروبا الحديثة^(١).

(١) جمال معوض شقرة، التهديد الإسلامي للغرب المعاصر بين صموئيل هنتنجتون وجون اسبوزيتو في كتاب التقاء الحضارات في عالم متغير، حوار الصراع، القاهرة ٢٠٠٣م هامش ١٦ ص ٣٢٢.



أنتقل إلى موقف المستشرق الألماني فريتز شتيبات من نظرية صدام الحضارات:

أبدي المستشرق الألماني فريتز شتيبات أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة برلين الحرة اعتراضه الشديد على نظرية صراع الحضارات، واعتبرها من النظريات المدمرة للعلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي، وفي بداية مناقشته للنظرية ونقده لها يشير شتيبات إلى أمرين مهمين ينبغي أن يشارك المتخصصون الأكاديميون في مناقشتها نظراً لأهميتهما الكبرى في تحديد مصير العلاقات الغربية الإسلامية.

الأمر الأول: يرتبط بمسألة اعتبار الإسلام عقبة رئيسة في وجه الإسلام العالمي في الوقت الحاضر.

والأمر الثاني: بإشكالية الحوار بين الأديان، وبخاصة بين المسيحية والإسلام، وقد أكد شتيبات أن السنوات القليلة الماضية شهدت " ميلاً فجائياً متنامياً في الغرب لاعتبار الإسلام خطراً يهدد العالم الحر، ويزعزع السلام على الأرض " وأن هذه الظاهرة بدأت تبرز بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية في شرق أوروبا، وأصبحت هناك حاجة إلى مواجهة تهديد بديل وخلق عدو بديل للشيوعية، والإسلام يشكل هذا البديل الملائم.

ويؤكد شتيبات: " وأنا أرى أن لهذا السلوك دافعاً عقلياً " ويرفض شتيبات استخدام مفهوم الحضارة والدين كمؤشر أساسي للتمييز بين أطراف الصراعات الرئيسية في العالم اليوم، كما يرفض إعطاء الدين دوراً حاسماً



في تشكيل المجموعات في نظام عالمي يتوجه نحو الحرب، ويعتبر ذلك تفكيراً خاطئاً؛ لأنه " لا الإسلام ولا المسيحية يهدفان أساساً إلى الدعوة للحرب ... ولذلك يجب تفسير ظاهرة الحرب الدينية داخل إطارها التاريخي " .

ويكرر شتيبات رفضه لنظريات هتنتجتون فيقول : " تقوم نظرية هتنتجتون على الافتراض القائل بأن الأديان تواجه بعضها البعض بطريقة تقود بالضرورة إلى كل أنواع النزاعات بما في ذلك الحب . وأنا أرفض هذه النظرية " .

وقد اقترح شتيبات استراتيجيتين لتجنب هذا الخطر :

الاستراتيجية الأولى: هي تفادي تأليف تكتلات سياسية مؤيدة لنشوب النزاعات ذات الصبغة الدينية.

الاستراتيجية الثانية: هي " العمل باتجاه التفهم والتفاهم وإيجاد الأرض المشتركة بين أتباع كل الديانات بما يقلص من احتمالات التأزم، ويلقي شتيبات بالمسؤولية على المتخصصين، لكي يضعوا مقولة صدام الحضارات " داخل إطارها التاريخي، وأن يصححوا أنماط التفكير اللاتاريخية. وتعتبر نظرية هتنتجتون الخاصة بصراع الحضارات نمطاً من أنماط التفكير اللاتاريخي.

ويعتبر شتيبات مهمة الحوار بين الحضارات والحوار بين الأديان، ونشر الإحساس بأن الطرف الآخر لا يسعى إلى التدمير أو الإيذاء، ولا يهدف إلى التصادم، بل إلى التفهم وإيجاد أرضية مشتركة للتعايش البناء والتعاون، ويؤكد أن الأزمات الكبرى في العصر الحالي لا تقوم في الحقيقة على قاعدة دينية أو حضارية.



ومن السيدات رؤية المستشرقة الألمانية آنا ماري شميل

تعتبر المستشرقة الألمانية آنا ماري شميل من أهم علماء الغرب المهتمين بحوار الحضارات وبالحوار بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وللمستشرقة مواقف جريئة وشجاعة في هذا الخصوص.

وقد تعرضت في عام ١٩٩٥م لحملة يصفها الدكتور محمود حمدي زقزوق بأنها حملة ظالمة من جانب الإعلام الألماني والغربي حين وصفت عمل سلمان رشدي بأنه يمثل إهانة للأمة الإسلامية. ولا تزال تواصل إسهاماتها في قضية الحوار بين الشرق والغرب. وهي أعمال تمهد السبيل لحوار جاد مع الغرب يؤدي إلى تحقيق المزيد من التفاهم المشترك، وتصحيح المفاهيم الخاطئة والأفكار المغلوطة عن الإسلام وحضارته.

ويصف الدكتور محمود فهمي حجازي جهود آنا ماري شميل بأنها جهود جادة في إطار الحضارات، ولها دور في مقاومة جهود دعاة الصدام وإثارة الجماهير.

وفي موضوعية تامة تقول آنا ماري شميل ((إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي كثيراً ما تعرض للهجوم. وقد نشأ هذا كله من عدم الفهم الصحيح له، حيث بدأت في أوروبا أسطورة تهديد المسلمين لعالم الغرب الأوروبي منذ ما يقرب من ألف عام... وقد نشأت عن بعض الأحداث التاريخية تصورات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين باعتبارهم العدو التقليدي للمسيحية في أوروبا)) وقد اهتمت المستشرقة في دراساتها المتعددة بإعطاء الصورة الصحيحة عن الإسلام، مركزة على توضيح أثر



الحضارة الإسلامية في ازدهار الثقافة الغربية، وأوضحت تأثير الثقافة الإسلامية في الفنون والآداب الغربية، وتأثير علوم المسلمين الطبيعية في النهضة العلمية الأوروبية مؤكدة على الالتقاء والتفاعل الحضاري بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

أما المستشرق الأمريكي جون اسبوزيتو ونقد نظرية صدام الحضارات:

يعتبر جوز اسبوزيتو من أهم المستشرقين الأمريكيين المدافعين عن حوار الحضارات وعن التقاء الحضارتين الإسلامية والغربية، وفي نفس الوقت يعتبر اسبوزيتو من أشد المعارضين لنظرية صدام الحضارات، وقد نقدها نقداً شديداً في عدد من أعماله من أهمها كتابه المهم " التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة " (١).

وكما يتضح من عنوان الكتاب أنه يثير دعوى التهديد الإسلامي للغرب وحضارته ويناقش حقيقة هذه الدعاوي التي تبناها أنصار صراع الحضارات في الغرب، وأنصار حتمية الصراع بين الحضارتين. ويحاول اسبوزيتو في أعماله الإجابة على مجموعة تساؤلات مطروحة بقوة في الغرب في الوقت الحالي من أهمها: هل التصادم حتمي بين الإسلام والغرب، وهل يشكل الإسلام تهديداً للغرب ومصالحه؟ وهل الحضارة الإسلامية مهددة للحضارة الغربية؟

وفي إجاباته المتعددة ينقد اسبوزيتو الكتاب الغربيين ورجال الصحافة الذين يبالغون في تصوير الخطر الإسلامي وبخاصة هؤلاء الذين يركزون

John I Esposito ,the Islamic threat , myth or reality (١)



على مفهوم العدو الجديد للغرب بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهايار الشيوعية، ويعتبرون الإسلام هو الممثل للخطر والعدو الجديد.

إن هؤلاء الكتاب يشوهون طبيعة الإسلام وطبيعة الحضارة الإسلامية، ويقلبون الحقائق السياسية والحضارية للعالم الإسلامي، ويقعون في درجة مدهشة من الجهل والتنميط الثقافي للعرب والمسلمين، ويرفض اسبوزيتو استخدام مصطلحات "الأصولية" و "الإسلام المسلح" وغير ذلك من المصطلحات المعمقة لمفهوم الصدام، وهو عادة ما يفضل استخدام مصطلحات "الإحياء الإسلامي" و "النشاط الإسلامي" وغير ذلك من المصطلحات غير المحملة عن قصد بالدلالات الصدامية.

وفي تحليله لأسباب الحملة الغربية على الإسلام وحضارته يشير اسبوزيتو إلى قاعدة الكراهية التقليدية والموروثة والتي ثبتها ميراث الحروب الصليبية والاستعمار الأوروبي، كما يشير أيضاً إلى المخاوف الغربية الحديثة والمعاصرة من بعض النماذج المثيرة للتخوف الغربي من المسلمين، ومنها نموذج الثورة الإسلامية الإيرانية على يد آية الله الخميني، والنموذج الأفغانستاني ممثلاً في حركة طالبان، والصورة التي يثيرها صدام حسين لدى الغرب، وقد زادت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م حدة هذه المخاوف لدى الغرب والأمريكيين، وأضافت تنظيم القاعدة إلى مجموعة الاتجاهات الإسلامية العنيفة والمسلحة. وهذه وغيرها أدت في النهاية إلى الربط العضوي في الذهنية الغربية بين الإسلام والإرهاب.



ويدافع اسبوزيتو عن العلاقات الإسلامية الغربية في الماضي مشيراً إلى فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية، ويؤكد على تسامح المسلمين مع غير المسلمين منذ بداية الإسلام، وأن حياة غير المسلمين تحت حكم الإسلام كانت أفضل من حياتهم تحت الحكم السابق على الإسلام، وأن الجماعات اليهودية والمسيحية ساعدت الجيوش الإسلامية على فتح بلادهم رغبة في التخلص من الاضطهاد الذي عانته هذه الجماعات تحت الحكم الأجنبي.

وهناك أمران أفسدا العلاقات الغربية الإسلامية، وهما: حركة الاستعمار الأوروبي للبلاد الإسلامية وحركة التنصير المسيحي في بلدان العالم الإسلامي^(١).

يناقش اسبوزيتو في كتابه دعوى التهديد الإسلامي للحضارة الغربية، ودعوى صدام الحضارات، وينفي بشدة أن يكون الإسلام مهدداً للغرب وحضاراته، ويحجم هذا الادعاء، ويضعه في حجمه الحقيقي بالقول: بأن الحضارة الإسلامية تمثل تحدياً للحضارة الغربية وليس تهديداً؛ باعتبارها أسلوباً مختلفاً عن حياة الغرب، ونظاماً ثقافياً قوياً ومغايراً للحضارة الغربية، ويذكر بتفاعل الحضارتين تفاعلاً إيجابياً في الماضي بشكل أفاد الحضارتين وأثراهما.

ويوجه اسبوزيتو نقداً شديداً لنظرية صدام الحضارات لهنتنجنون؛ واصفاً إياها بأنها نظرية استفزازية، ويرفض ترشيح الإسلام باعتباره عدواً تاريخياً للغرب ليحل محل الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، ويشير اسبوزيتو إلى "أهمية تجاوز القوالب النمطية والإجابات الجاهزة

(١) ياسر خليل، حتمية الصدام بين الإسلام والغرب، وصراع الحضارات... حقيقة أم خرافة، اسبوزيتو ينتقد هنتنجنون، جريدة الشرق الأوسط ٢٦/٣/٢٠٠٢ م.



وضرورة التمييز بين البديل الديني والأيديولوجي وبين التهديد السياسي المباشر، والفصل بدقة بين الأسطورة والحقيقة وبين وحدة الإسلام والأشكال المتعددة والمتنوعة، وبين أعمال العنف التي ترتكبها القلة وبين الآمال والسياسات المشروعة للأغلبية .

ويرفض اسبوزيتو الأسباب التي أوردتها نظرية صدام الحضارات للصراع بين الإسلام والغرب، كما رفض نظرية تهديد النمو السكاني في العالم الإسلامي للغرب والتي قال بها باتريك بوكانانت، والرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون.

ويرى اسبوزيتو أن الأسباب الحقيقية للصراع تتمثل في تصارع المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويطالب اسبوزيتو الغرب بالنظر إلى الأمور في واقعها الحقيقي وعدم المغالاة في النظر إلى العالم الإسلامي من منظور التطرف والإرهاب؛ لأن هذا التوجه سيؤدي في النهاية إلى نفس العلاقات بين الغرب والإسلام، ويطالب بإسقاط نظرية العدو الإسلامي وتحقيق التفاعل مع الإسلام وحضارته من خلال العلاقات الإيجابية، فالتهديد الإسلامي للغرب مجرد أسطورة.

استراتيجية ثقافية إسلامية جديدة:

لا أغالي إذا قلت إننا بحاجة ماسة إلى وضع استراتيجية ثقافية إسلامية جديدة للحوار، نواجه بها تحديات العولمة وقضاياها المعاصرة.. استراتيجية محكمة ذات شقين:



الأول: ما يخص العالم الإسلامي كوحدة متكاملة بكل ما فيه من قضايا ومشكلات وتباين وفروقات مذهبية وطائفية، والوصول إلى وضع استراتيجية إسلامية تستوعب كل هذه التباينات.

والثاني: العالم من حولنا شرقاً وغرباً وكيفية التعامل معه والتفاهم حول القضايا المشتركة في ضوء استراتيجية تؤكد الهوية الإسلامية والذاتية.

وإذا سمحتم لي بنقاط أخيرة، فإنني أود الإشارة إلى ما يأتي:

١- الاهتمام بالأنشطة الشبابية خاصة بين شباب العالم الإسلامي في المجالات الثقافية والدينية والرياضية لدعم الحوار بين الشباب المسلم في كل الأقطار، وتحصينه ضد التيارات الفكرية والاجتماعية غير المستحبة والمنافية لديننا الإسلامي.

٢- الاهتمام بإعداد الطاقات الإعلامية الواعية، وإنشاء فضائيات متخصصة تبلور الفكر الإسلامي، وتعبر عن الثقافة الإسلامية المعاصرة وتحديات المجتمع العالمي المعاصر، وتعتبر كمرجعية إسلامية لاستقاء المعلومات والأفكار الصحيحة.

٣- الاهتمام بالجيل الثاني والثالث من أبناء المهجرين المسلمين في المجتمعات الغربية، وتزويدهم بالمعرفة الإسلامية الصحيحة ودعم ثقافتهم الإسلامية.

إن توصيات عديدة أصدرتها مؤتمرات إسلامية عديدة؛ لذلك فإنني أجد من واجبي الدعوة إلى جمع كل هذه التوصيات السابقة وتنسيقها ووضع آلية جديدة لتفعيلها وتنفيذها ومتابعتها.



وبعد، فإنني أتوجه بالشكر لرابطة العالم الإسلامي ولسعادة أمينها العام معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي على اهتمامه بهذه القضية المهمة من قضايا الأمة الإسلامية.. هذه القضية التي تعتبر الآن من أهم قضايا الساعة على الصعيد الدولي في عصر اقتربت فيه المسافات أو ربما تلاشت، وتقاربت الأفكار والرؤى، وبرزت الحاجة الماسة إلى التفاعل الحضاري وإلى الحوار الذي لم يعد ترفاً، بل ضرورة تفرضها تداعيات العولمة التي نعيشها الآن، حتى نكون واعين لما تفرضه من تبعات ثقال وأعباء جسام.

والله ولي التوفيق..